من مكونات المشهد الحربي في الشعر الجاهلي

د. اسماعيل أحمد العالم
جامعة اليرموك

«اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليفة منذ برأها الله. واصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها اهل عصبيته. فاذا تذامروا لذلك وتواقفت الطائفتان، احداهما تطلب الانتقام، والأخرى تدافع، كانت الحرب. وهو امر طبيعي في البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل».

«مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص ٨٢٣»(١)

عند التحليل والتأمل نجد ان هدف كل حرب هو تحقيق السلم، لأن البشر انما يقتلون من اجل احلال شكل من اشكال السّلم كلما اعوزتهم صيغ التفاهم السياسية. وقد عدّت الحرب مواصلة للسياسة بوسائل اخرى، اي انها لا تعدو ان تكون وسيلة. وهي لئن عدّت وسيلة «عنيفة» فهي ليست على ما يبدو اكثر من السياسة عنفا. ولما كانت العلاقة بين الحرب والسلم هي العلاقة بين القوة والقانون، فان السلم، اي القانون، ينفي الحرب وينقضها، غير انه لا يتحقق في الأغلب الأعم الا من خلالها، والحجة في ذلك ان اغلب الحروب انتهت باتفاقيات سلم وعقود صلح.

ومن المفيد لهذا البحث ان نتعرف الى المعاني التي تدور عليها مادة «ح. ر. ب»، فهي عند ابن منظور فعل وشعور وحالة، فالحرب فعل تترجمه الاغارة والسلب والنهب والسبي والتقتيل، فهي تارة غارة اذا كانت سريعة خاطفة فجئية، وكانت من

طرف واحد، وكان هدفها الأساس النهب، وطورا حرب صراح اذا اتسع مداها واستعدّ لها الطرفان وكانت اكثر تعقيدا وأوخم نتائج. والحرب شعور، دلّ على ذلك وجود «حرب» بمعنى اشتد غضبه، و «احْرَنْبى» بمعنى غضب وتهيّأ للشر. والحرب حالة، تقصر او تطول، اي وضع نفسي هو وضع التعبئة النفسية والمادية تحفّزا للقاء عدو او تحسّبا لهجوم مباغت منه(٢).

وكانت الصلات القبلية في الجاهلية قد اسست على العداء والحروب المتوالية لغياب السلطة المركزية المنظمة، ولم يكن السلم يخيّم الا عند اتفاق قبيلتين او اكثر عليه، وشجع نمط الحياة القائمة على الرعي والترّحال وعدم وجود ملكيّة مضمونة الجاهليين على ان تنشأ بينهم ظاهرة الاغـارة، ودرّبتهم خصوصيـات شبه جـزيرة العرب الجغرافية على الهجوم من بُعد، فرسخت فيهم التقاليد الحربية، واصبحت الحرب وظيفة اجتماعية من اهمّ وظائف الحياة، بل انّ حياتهم كانت «دامية حمراء لا تهدأ نارها ولا يخمد اوارها، وكانت القبائل في حركتها الدائبة من اجل لقمة العيش وجرعة الماء ونعرة السيادة، لا تكاد تنفض ايديها من وقعة من الوقائع حتّى تغيّرها في وقعة اخرى. وكانت الحياة العربية فيما قبل الاسلام بحق اياما وحروبا مستمرة»(٣).

ولعلّ المبرّر لتتبع مكونات المشهد الحربي في الجاهلية يعود الى ان الانسانية قد قطعت من عمرها قرونا طويلة منذ وجد الانسان الأول الى اليوم، تـطورت فيها الحياة، وخطا الجنس البشري فيها خطوات كثيرة جدا في سبيل التقدم الذي يسمونه المدنية والحضارة، فقد يجد الباحث المـدقق انّ السبب الذي كـان الانسان الأول يحارب من أجله وهو في بدء حياته في طور الطفولة الانسانية ودور الهمجية، هـو السبب نفسـه الذي يحـارب من اجله الانسان وهـو في درجة عـالية من المـدنيـة والحضارة. لكن مما لا شـك فيه ان اسـاليب الحروب وادوات القتـال، وطرقـه، ووجهات النظر تتغير تغيّرا كبيرا في كل طور عن سابقه، تبعا للتطور في التفكير، والتوسع في العلم، والازدياد في الكشف والاختراع.

ولا ريب ان الانسان، بحكم ما في غرائزه من حب للاستطلاع، يلذّ له ان يقف على مكونات المشهد الحربي في الجاهلية، فيتتبع العدد والعدّة التي تشتمل رفاق القتال من ناحية، والخيل والسلاح من ناحية اخرى. ويتتبع المعركة، ويقف عند

ابطالها ليتعرف الى صفاتهم وخصالهم الحربية وادائهم واخلاقهم العسكرية، كما يقف عند العدو للتعرف الى حال قدومه لأرض المعركة، وما حل به من فرار وتقتيل وتجريم واسر.

العدد والعدّة:

من الطبيعي ان يتحدث الشاعر الجاهلي عمّن يشنون الحروب والغارات وما يتصفون به من حزم وقوة عنف وتصميم على طلب الوتر واخذ الثأر. وان يتحدث عن عدّة الحرب، فالعدد والعدّة ركن يحتوي على معطيات التعبئة المادية والنفسية الضرورية لكل حرب مهما كان حجمها، ويشمل عند شاعر الجاهلية رفاق القتال والخيل والسلاح.

أ ـ أمّا رفاق القتال:

فكان يهتم بخصالهم النوعية لا العددية، واهم هذه الخصال الشجاعة، وهي الانتصار الداخلي على النفس والتغلب على هواجسها ومخاوفها، وعدّ ذلك خطوة اولى ضرورية للتغلب على الخصم. يقول طرفة بن العبد(٤):

ولو كُنْتُ وغْلاً في الرجالِ لضَرَّني عداوةُ ذي الأصْحابِ والمُتَوحِّدِ
ولكِنْ نفى عني الأعادي جرأتي عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي

فالرجولة الحقة هي التي تتمثل في الشجاعة والفروسية والاقدام وخوض الحروب وكسب المغانم وتحمل المكاره.

ويفخر عمرو بن كلثوم بنفسه وقومه، ويتباهى بشجاعتهم وايامهم التي امتلأت بالقتل والدماء، وعصيانهم الملوك اذا تجبروا وطغوا(٥):

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا
وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

والى الشجاعة تنضاف المهارة والدراية بفنون الحرب والقدرة على الخروج من مضايقها والافلات من قبضاتها، وهي صفات تكتسب بالدربة والتجربة، يقول

عبيد بن الأبرص(٦) :

أمّا اذا كان الطّعانُ فإنّهُمْ   قد يَخْضِبُونَ عَوَالِيَ المُرّانِ
أمّا اذا كان الضّرابُ فإنّهم   أُسْدٌ لدى اشبالِهِنَّ حَوَاني
أمّا اذا دُعِيَتْ نَزَالِ فإنَّهُمْ   يَحْبُونَ للرُّكباتِ في الأبْدَانِ

ويقول رجل من غنيّ(٧) :

لا تُخْفَضُ الحرب للدنيا اذا استَعَرَتْ   ولا تبوخ إذا كنّا لها شُهُبا

ويقول عنترة(٨) :

من كلّ اروعَ للكماة مُنازل   ناج من الغمرات كالرّئبال
ومعاودِ التكرار طال مُضِيَّهُ   طعناً بكُلَ مثقّف عَسّالِ

ويقول ضابىء بن الحارث(٩) مترجما ما يجب ان يأخذ المقاتل به نفسه وما يجب ان يتجنبه :

وفي الشك تفريطٌ وفي الحزم قوةٌ   ويخطيء في الحَدْسِ الفتى ويصيب

ومن خصال رفاق القتال الصبر والثبات وعدم الفرار، وتفريج الكروب في الشدائد بالسلاح، وادعاء انهم يظلون على ظهور خيلهم تتعاورهم الرماح ولا ينحرفون عن الطعن، بل يبقون في الميدان الى ان يفوزوا بالنصر،

يقول عنترة(١٠) واصفا رفاقه بالصبر على ويلات الحرب وجراحاتها :

وفوارسٍ لي علمتُهُم   صُبُرٍ على التكرار والكَلْمِ

ويقول الحصين بن الحمام(١١) مصوراً المعركة التي خاضها قومه :

ولّما رأيت الودّ ليس بنافعي   وان كان يوما ذا كواكب مظلما
صبرنا وكان الصبر فينا سجية   بأسيافنا يقطعن كفّاً ومعصما

ويقول عدّي بن رعلاء الغساني(١٢) :

فَصَبَرْنَ النفوسَ للطّعْنِ حتى   جَرَتِ الخيلُ بيننا في الدماء

ويقول ضابىء بن الحارث(١٣) :

فـلا خـير فيمن لا يـوطّنُ نـفسـه		عـلى نـائبـات الـدهـر حـين تنـوب

واكد الشاعر الجاهلي اهمية كرم الأصل والأخلاق الحميدة، فهي صفات ترشح القوم للاستبسال والغلبة، يقول الحادرة(١٤):

إنـا نَـعِفُّ فـلا نَـريبُ حَليفَنَـا		ونكُفُّ شُحَّ نُفُوسِنـا في المَطْمَعِ
ونـقي بـآمَنِ مـالِنـا احسَـابَنَـا		وَنُجِرُّ في الهيجا الـرماحَ ونـدَّعي
ونخـوضُ غمـرةَ كـلّ يـوم كـريهـةٍ		تُـرْدَى النفـوس وَغَنْمُها لـلأشجـع
ونـقيـمُ في دارِ الحفـاظ بيـوتَنَـا		زمنـاً، ويظعَنُ غيـرُنـا لـلأمْرَعِ

ويقول سلامة بن جندل في قومه بني سعد(١٥):

كُـنَّـا نَـحُـلُّ اذا هـبَّتْ شـآمِيَـةً		بكُلِّ وادٍ حَطِيبِ الجَـوْفِ مَجْدُوبِ
شيبِ المَبـارك مـدروسٌ مَـدَافِعُـهُ		هـابي المراغ قليلِ الـوَدْقِ مَـوْظُـوبِ
كُنَّـا اذا مـا اتـانـا صـارخٌ فَـزِعٌ		كـان الصُّراخ لـه قَـرْعَ الـظنـابيب
وشـدَّ كُـورٍ وجـنـاءَ نـاجـيـةٍ		وَشَدَّ سَرْجٍ عـلى جـرداءَ سُـرْحُـوبِ

ويقول المرقش الأكبر(١٦):

لـكـنـنـا قـومٌ أهـابَ بـنـا		في قـومـنـا عـفـافـةٌ وَكَـرَمْ
امـوالُـنـا نـقـي الـنـفـوسَ بهـا		مـن كـلِّ مـا يـدني اليـه الـذَمّ
لا يُـبْـعِـدِ الـلهُ الـتـلـبُّـبَ والـ		غـاراتِ إذْ قـال الخـمـيسُ نَـعَـمْ

ومن الصفات التي يجب ان يتحلى بها رفاق القتال الصدق والاخلاص لما من اجله يحاربون، يقول زهير بن ابي سلمى(١٧):

وبـالفـوارس من وَرْقَـاءَ قـد عُلِمُـوا		اخـوان صِـدْقٍ عـلى جُـردٍ أبـابيـلِ

ويقول عبيد بن الأبرص(١٨):

وخِـرْقٍ من الفتيـان اكـرم مصـدَقـاً		من السيف قـد آخيتُ ليس بمذروبِ

ويقول عنترة(١٩):

وإخـوانِ صِـدْقٍ صـادِقـين صَحِبْتُهُمْ		على غارةٍ من مثلها الخيلُ تُسْرَجُ

ب ـ الخيـــل:

تعدّ من اولى معدات الحرب، فعلى صهواتها يتقابل الأبطال مع اعدائهم في حربهم المبيدة المزمعة، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ونتيجته، ولذا كان الشعراء يبالغون في وصف الخيل بالجودة والعتق والقوة والسرعة، وتعوّد الحرب والخبرة بأحوالها بحيث لا تؤثر فيها شدتها واهوالها، وكان عرب الجاهلية يعدّون لأيامهم وغاراتهم وحروبهم جيّد الخيل وانفسها، فقد كانت الخيل عندهم تنتقى وتربّى وتدّخر بحرص شديد لأوقات الحاجة، وكان الجاهلي يؤثرها في العناية والغذاء على افراد اسرته، لأنها وسيلته الأولى في السيطرة على الفضاء الحربي سواء في الهجوم والغلب ام في الهروب والمنع.

يقول عبيدة بن ربيعة محذرا احد ملوك الحيرة من ان تمتد يده الى فرسه (سكاب)، فهي مال نفيس دونه امتشاق الحسام وخوض غمار الحرب(٢٠):

أبيت اللعن إنّ سكابَ علقٌ نفيسٌ لا يُعارُ ولا يُباعُ
مفداةٌ، مكرمةٌ، علينا يجوعُ لها العِيالُ ولا تُجاعُ
سليلةُ سابقينَ تناجلاها اذا نُسبا يضمّهما الكراعُ
فلا تطمع أبيتَ اللعنَ فيها ومنعُكها بشيء يُسْتَطَاعُ

اما عنترة فقد فوّق جواده على زوجه وخصّه باللبن دونها وزجرها اذْ عاتبته على ذلك وهدّدها بالفراق ان هي اصرّت(٢١):

لا تذكري مُهري وما أطْعَمْتُهُ فيكون جِلدُكِ مثلَ جلد الأجربِ
إنّ الغَبُوقَ له وانتِ مَسُوءَة فتأوَّهي ما شئتِ ثمَّ تَحَوَّبي

ويفخر الجميع ان فرسه كانت في كُنٍ وتعاهد، ولم تحرم حسن الغذاء فتهزل(٢٢):

جرداءُ كالصَّعْدَةِ المُقامةِ لا قُرٌّ زَوَى مَتْنَها ولا حَرِمُ

ويقول الأخنس بن شهاب التغلبي ان خيل قومه مصونة مخدومة، اذ تشرب اللبن المحلوب في الغداة والعشي(٢٣):

فَيُغْبَقْنَ احــلابــاً ويُصْبَحْنَ مِثْلَهَــا   فَـهُنَّ مـن التَّـعْـدَاءِ قُـبٌّ شَـوَازِبُ

ويذكر يزيد بن خذّاق الشنّي تعهده فرسه وجعـل البان ابله جميعهـا حبسا عليها(٢٤) :

وداويـتهـا حـتى شَـتَـتْ حـبـشـيـةً   كـأَنّ عليهـا سُنْـدُسـاً وسَـدوسـا
قَصَـرْنـا عليهـا بـالمقيظِ لِقَـاحَنَـا   رَبَـاعِـيَـةً وبـازِلاً وَسَـدِيـسَـا

وفرق شاعر الجاهلية بين الخليل المحاربة، والخيل عامة، فالمحاربة لا يقف الشاعر عند صورتها الجمالية وهو الجانب الذي يبرز في تصويـر الشعراء لها في اوقات السلم، ويتضح ذلك لو وازنا بين تصويـر الشاعـر لجواده في السلم وتصـويره في الحرب، يقول زهير بن ابي سلمى واصفا جواده الذي اعدّه للصيد(٢٥) :

ضَبَحْتُ بِمَمْسُودِ النَّواشر سابـح   مُمَّـر اسيـلِ الخـدّ نَهْدٍ مـراكِـلُهْ
تمـيم فـلونـاه فـأُكمـل صُنْعُـهُ   فـتـمَّ وعـزَّتْـهُ يـداه وكـاهِـلُهْ
أمـين شـظاهُ لم يخـرَّق صِفَـاقُـهُ   بِمِـنْـقَـبَـةٍ ولم تُـقَـطَّعْ أبـاجِـلُهْ

وينعت السليك بن السلكة فرسه (النحّام) بـالسرعـة الفـائقـة والخفـة والرشاقة(٢٦) :

كـأَنَّ قـوائـم الـنـحَّـام، لَمّـا   تحـمـلَ صُحْبـتِي، أُصُـلاٍ، مَحَـارُ
عـلى قَـرَمَـاءَ، عـالـيـةٌ شَـوَاهُ   كـأَنَّ بـيـاضَ غُـرّتِـهِ خِمَـارُ

ثم يقول :

كـأَنَّ مـنـاخِـرَ الـنَـحَّـام لَمّـا   دنـا الاصبـاح كِـيرٌ مُسْـتَـعَـارُ
تـراهـا مـن يبيس المـاء شُهْـبـاً   مُخَـالِطُ دُرَّةٍ مـنـهـا غِـرَارُ

ويصف المرقش الأصغر فرسه الذي يخايل به ويسبق(٢٧) :

أسيـلٌ نبيـلٌ ليس فيـه معـابـة   كُمَيْتٌ كلون الصّرف أرجلَ أقْـرَحُ
عـلى مثله آتي الـنّـديَّ مخـايـلاً   وأغْـمِـزُ سـراً: أيُّ امْـرَيَّ أرْبَـحُ
ويسبقُ مـطروداً، ويلحَقُ طـارداً   ويخـرجُ من غمّ المضيـق ويجْـرَحُ

أما الخيل المحاربة فقد حشد لها الشاعر الجاهلي الصفات والصـور المتصلة

بالحرب، فهو لا يملك من الوقت ما يبذل في الوصف الجمالي، لذلك تختفي الناحية الجمالية او تكاد بل تبرز في الخيل الناحية المرعبة والدمامة وهي صفات تستدعيها الحرب لتماشيها مع الرغبة في ارهاب العدو.

يقول عمرو بن الأهتم(٢٨) :

نلقي الحديد علينا ثم تلحقنا ... قَبٌّ مدربةٌ شُعْثٌ نواصيها
معوّداتِ جراحات الخدود اذا ... كان اللقاءُ وطعناً في مآقيها
حتى تراها أسَابِيَ الدماءِ بها ... كأنما كُسِيَتْ حَبْراً هَوَادِيها

ويقول عنترة (٢٩) :

وإنّا نَـقُودُ الخيل تحكي رؤوسها ... رؤوس نساءٍ لا يَجِدْنَ فَوَالِيَا

ومن ابرز الصفات التي تدعوها الحرب، فقد اورد منها الشاعر الجاهلي صفات الفراهة والضمور والقوة والسرعة، فبدت في وصف الفرس الخذروف عند طفيل الغنوي(٣٠) :

إذا قيلَ نَهْنِهْها وقد جَدَّ جِدُّها ... تَرَامَتْ كخذروفِ الوليدِ المثقَّبِ

وصورة الريح في قول عبد الله بن مرداس(٣١) :

صبحناكُمُ العُوجَ العناجِيجَ بالضُحى ... تمرُّ بنا مرَّ الرّياح السّواحِكِ

وصورة النار في قول امرىء القيس(٣٢) :

سَبُوحاً جَمُوحاً واحضارُها ... كمعمعةِ السَّعَف المُوقَدِ

وصورة الحدأة في قول عامر بن الطفيل(٣٣) :

والخيلُ تَرْدي بالكمُاةِ كأنّها ... جِدَاً تتابَع في الطريق الأقْصَدِ

وصورة العقاب في قول زيد الخيل(٣٤) :

ونجّاك يومَ الرَّوْعِ إذْ حَضَرَ الوغى ... مِسَحُ كفتخاءِ الجناحَيْن كاسِرُ

وتنضاف إلى السرعة صفة أخرى متفرعة عنها هي اليقظة والنشاط، يقول عامر بن الطفيل(٣٥) :

فلو شئت نجتني سبوحُ طِمِرَّةٌ   تَحُكُ بِخَدَّيْها العِنَانَ وَتَمْزَعُ

ويمتدح من الخيل أيضا ما توافر فيها الإقدام في الغارات والمعارك، والتمرس والانقضاض(٣٦):

وجياداً لنا نُعَوّدها الإقـ   ـدامَ إنْ غارَةٌ بَدَتْ وازبأرَّتْ
وانقضّتِ الخيلُ من وادي الذِّئاب وقد   أصْغَتْ أسِنَّتَها حُمراً من الوَدَجِ(٣٧)

ويقول عنترة(٣٨):

وخيلٍ عوّدَتْ خَوْضَ المنايا   تُشَيِّبُ مَفْرِقَ الطّفل الوليد

واستطاع الشاعر الجاهلي الفارس رصد خلجات دقيقة ينفذ من خلالها إلى نفس فرسه ويسجل ما بينه وبينها من تجاوب وتفاهم، وهو تفاهم يدعو إلى القول أنه التحام كائنين ـ إنسان وحيوان ـ في كائن واحد، بينهما من التبادل الروحي والعاطفي ما لا نعرف له إلّا أمثلة نادرة في الشعر العربي القديم مثل محاورة عامر بن الطفيل لجواده(٣٩):

وقد علم المزنوق أنّي أكُرُّهُ   عَشِيَّةَ فَيْفِ الريح كَرَّ المُشَهَّرِ
إذا ازورَّ مِنْ وَقْعِ الرماح زجرْتُهُ   وقلتُ له ارجع مقبلاً غير مُدْبِرِ
وأنبأتُهُ أنَّ الفِرارَ خَزَايَةٌ   على المرءِ ما لم يُبْلِ عُذراً فَيُعْذَرِ
ألست ترى أرماحهم فيَّ شُرَّعاً   وأنتَ حِصانٌ ماجِدُ العِرْقِ فاصْبِرِ

ومحاورة عنترة لجواده(٤٠):

ما زلتُ أرْميهم بثغرة نحره   وَلَبَانِهِ، حتى تسربلَ بالدَّمِ
فازورَّ من وقع القنا بلبانه   وشكا إليَّ بعبرةٍ وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى   ولكان لو علم الكلام مكلمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها   قيلُ الفوارس وَيْكَ عنتر أقدم

جـ. السلاح:

كانت البيئة الجاهلية تساعد على وجود المنازعات والمشاحنات، وانتشار الخوف والفزع، وتوّقع الخطر في كل لحظة، مما نشأ عنه كثرة الحروب، لذا كان من

الطبيعي أن تصبح الأسلحة والمعدات الحربية ضرورية للحياة في ذلك الوقت، وأن يهتم بها العربي الجاهلي اهتماما كبيرا، ويبذل كل ما يستطيع للحصول على أكبر كمية من خيرها وأجودها يقول أمية بن أبي الصلت(٤١):

وأرصدْنا لريب الدهر جُرداً ... تكون متونُها حصناً حصينا
وَخطِيّاً كأشطان الركايا ... وأسيافاً يُقَمْنَ وينحنينا

وما كان للبدوي أن ينزل الأماكن المخيفة لولا اعتماده على سلاحه، يقول ربيعة بين مقروم:

وثغرٍ مَخُوفٍ أقمنا به ... يَهَابُ به غيرُنا أن يُقيما
جعلنا السيوفَ به والرماحَ ... معاقلَنا والحديدَ النظيما(٤٢)

وبعُدد الحرب كانت له الجرأة على خوض غمار الحرب، وبها كان يخيف موعديه، ويصدّ من يبغي ضيمه، يقول صخر الغيّ، بعد أن وصف معداته الحربية(٤٣):

ذلك بزّي ولم أفرطه ... أخاف أن يُنْجزوا الذي وعدوا
فلست عبداً لموعديّ ولا ... أقبل ضيماً يأتي به أحدُ

وعلى درجة تلك المعدات من الوفرة والجودة تتوقف درجة الحرب ونتيجتها، فما أعدّ خير إعداد كان أحسن ما يصلح للقتال، يقول سعد بن مالك البكري(٤٤):

والحربُ لا يبقى لجا ... حِمِها التخيُّلُ والمِرَاح
إلّا الفتى الصبّار في النَّجَدَاتِ ... والفرسُ الوَقَاح
والنثرة الحصداء والبيض ... المُكَلَّل والرِّماح

وما كان العربي يتمنى شيئا يوم الشدّة سوى رمح قوي حاد، وسيف حسام صقيل، وفرس جرداء سلهبة، ودرع سابغة متينة، ذلك هو كل ما كان يبغيه من مال، يقول عامر بن الطفيل(٤٥):

يوم لا مالَ للمُحارب في الحَرْ ... بِ سِوَى نَصْلِ أسْمَرَ عَسَّالِ
وجامٍ في رأس أجْرَدَ كالجذْ ... عِ طُوالٍ وأبيضَ قصَّال

وِدِلاصٍ كـالـنِّهْـيِ ذاتِ فُـضُـولٍ ذاك في حَـلْبَـةِ الحَـوادِثِ مـالي

وقد بلغ من اعتزاز العربي بمعدات الحرب وعظم تقديره لها أن كان لو ملكها وحدها دون أن يكون في حيازته أي مال آخر لعدّ نفسه غنيا، ولو مات عنها لكان في توريثها ورثته من بعد خير غناء.

وسبب اهتمام العربي بمعدات الحرب أنه بها يحافظ على حياته وحياة قبيله، ويصون شرفهم، ويدافع عن عزتهم، ويرضي رغبتهم، ويحقق أمانيهم، يقول عامر ابن الطفيل(٤٦):

فـما أدْرَكَ الأوتـارَ مـثـلُ مُحَـقِّـقٍ بـأجْـرَدَ طـاوٍ كـالعَسِيبِ المُشَـذَّبِ
وأسْـمَـرَ خـطيٍّ وأبـيضَ بـاتـرٍ وَزَعْفٍ دِلاصٍ كـالـغـديـر المثـوِّبِ
سـلاحُ امرئٍ قـد يَعْلَمُ النـاسُ أنـهُ طَلُوبٌ لثـاراتِ الـرِّجـالِ مُـطَلَّبِ

وعندما نتحدث عن الأسلحة عند عرب الجاهلية ليس من همّنا أن نستخرج من شعرهم ثبتاً بأسماء الأسلحة التي وردت فيه وأنواعها وموادّ صنعها، وخصائصها العامة، فذاك أمر أغنانا عنه صاحب «صبح الأعشى»(٤٧)، بل غايتنا إبراز الناحية النوعية والوظيفية والدلالة الرمزية للسلاح في نطاق معنى الحرب في الشعر الجاهلي، فالسلاح ـ مهما كان بدائيا ـ وجه من وجوه الذكاء في الحرب، وهو ما تضيفه الثقافة إلى الطبيعة، أي أنه امتداد للقوة في شكل ثقافي متصل بالتقنية والصناعة، وبدونه لا يصدق الحديث عن الحرب، وهو إلى ذلك ضمان نفسي، فإذا عددنا الجواد ـ في الحرب البدوية ـ امتدادا للساقين، فإنّ السيف والرمح والسهم امتداد لليدين، أي تفخيم للقوّة، كما أنّ الدرع والقناع تفخيم للبدن، فإذا أضفنا إلى وجود السلاح توافر نوعيته الجيدة تمّ للمقاتل حظ مهم من حظوظ الغلب، كاف وحده أحيانا لإدخال الوجل والرّعدة على قلوب خصومه.

ولقد اهتمّ الشاعر الجاهلي في شعره الحربي إلى جانب الناحية الكميّة بنوعية سلاحه بصورة بارزة، فقد عدّد في ذكره السيف مثلا، الأسماء والصفات فجعل منها ما يتعلق بمكان الصنع، فكانت صفات «الهنديّ» و «المهنّد» و «الهندوانيّ» و «المشرفيّ» و «اليمانيّ»، وما يتعلّق بالحدّة والمضاءة فكانت صفات «الباتر» و «المخذم»

و «الصارم» و «الفيصل» و «المفصل» و «الفصّال» و «العضب» و «الماضي» و «الصيقل» و «الحسام»، وجعل منها ما يتصل بالطول والاستواء فذكر «القضيب» وما يتعلق بالعرض فذكر «الصفيحة»، وما يتصل بالصلابة وصراحة المعدن فكانت صفات «الحديد» و «الأبيض» و «الذكر». وذكر من الرماح «الخطيّ» و «الرديني» و «السمهريّ» و «الذّابل» و «المعلّب» و «الأصمّ» و «السفّاك» و «الدقيق» و «الأسمر». ولا شك أن لهذا التعداد والتكثيف طاقة تأثيرية تكسبها الإيحاءات والمعاني فعلا مهدّما لمعنويات الخصم.

وكان السلاح عند الجاهليين وخاصة عند الشعراء الفرسان لا يكاد يكون هجوميا بحتا، إذْ كثر تواتر السلاح الهجومي عندهم كالسيف والرمح والسهم، في حين قلّ بصورة واضحة ذكر سلاح الدفاع والتحصن كالدرع مثلا، التي لا يذكرونها إلاّ في نطاق فخرهم بتمام سلاحهم قبل المعركة، أو حين تشقها رماحهم وهي لبوس أعدائهم.

وإذا تتبعنا صور السلاح عند الشاعر الجاهلي، كانت الصورة الأولى صورة مألوفة متداولة عند شاعر الحماسة ومضمونها استخدامه في قتال أعدائه؛ أي أنه وسيلة من وسائل الحرب، يقول عبيد بن الأبرص(٤٨):

وَنَصُدُّ الأعداءَ عنَّا بِضَرْبٍ ذي خِذَامٍ، وطعْنُنَا بالحِرابِ

ويقول الأعشى(٤٩):

جَبَهْنَاهُمُ بالطَّعْنِ حتّى تَوَجّهوا وَهَزُّوا صُدُورَ السَّمْهَرِيِّ المُقَوَّمِ

ويقول عامر بن الطفيل(٥٠):

صَبَحْنَاهُمُ بكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ وَمُطَّرِدٍ لَهُ يَقِدُ الحديدُ
وأبيضَ يَخْطَفُ القَصَرَاتِ عَضْبٍ رقيقِ الحَدِّ زيَّنَهُ عمُودُ

وللسلاح عند شاعر الجاهلية صور أخرى مطبوعة بطابع الأناسة إذْ تبرز ما بين الفارس وسلاحه من علاقات مشحونة شحنا عاطفيا ـ كما رأينا في حديثنا عن الفرس ـ وصلات ووشائج قربى تتمثل في التلازم بين الفارس والسلاح، يقول عنترة(٥١):

سيفي أنيسي وَرُمحي كلّما نَهِمَتْ أَسْدُ الدِّحالِ إليها مالَ جانِبُه

ويقول أيضا(٥٢):

وهو يَحْمي معي على كلِّ قِرنٍ مِثْلَما للنَّسيبِ يَحْمي النَّسيبُ

بل إنّ ظروف عنترة الخاصة وحماسة الحرب ونشوة النصر تصل به إلى تعشّق السلاح بدل المرأة في نوع من التعويض النادر(٥٣):

وإنّي أعْشَقُ السُمْرَ العوالي وَغَيْري يعشَقُ البيضَ الرِّقاقا

فعنترة الذي لم يحظ بالحبّ، أحبّ ما اعتقد أنه كفيل بتحقيق الحبّ واللذة والكمال الإنساني معا(٥٤):

وَتُطْرِبُني سيوفُ الهند حتّى أهيمَ إلى مضاربها اشتياقا

وللشاعر الجاهلي في تصوير سلاحه أساليب أخرى تضيف إلى هذه العلاقة الإنسية معاني التقليل من شأن العدو والاستخفاف به والاستهزاء منه، يقول سحيم ابن وثيل(٥٥):

ونحن كَسَوْنا هامَةَ ابن خُوَيْلِدٍ حُساماً إذا ما صادَفَ العَظْمَ صَمَّما
ونحنُ كَسَوْنا المَرْءَ عَمْراً مُهَنَّداً رقيقَ النَّواحي كالعقيقة مِجْذَما

ويقول عنترة(٥٦):

وسيفي كان في الهَيْجا طبيباً يُداوي رأسَ مَنْ يشكو الصُّداعا

ويقول عمرو بن كلثوم في معلقته(٥٧):

نزلتُمْ منزلَ الأضيافِ مِنّا فَعَجَّلْنا القِرَى أنْ تَشْتُمُونا
قريناكُمْ فعجَّلْنا قِراكم قُبَيْلَ الصبحِ مِرْداةً طَحُونا

ويقول الحصين بن الحمام مندّدا بخصمه ومستخفا به(٥٨):

نُطارِدُهُمْ نستنقِذُ الجُرْدَ كالقنا ويستنقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّما

المعركـــة :

وصف الشعراء المعركة بأنها شرّ كبير لا ينعب به إلّا طير الشؤم، ساحتها خطيرة وهولها شديد، طعمها مرّ، وفزعها عظيم، تغصّ الشيخ المجرّب، وتخلع الأفئدة، وتطير العقول، وتسقط الحامل وتشيب الولدان. والمعركة لا يقوى عليها إلّا الفتى القوي الصبور على الشدائد والمكاره.

وحاول الشعراء في صورهم الشعرية للمعركة أن يصوروها بصورة بشعة مكروهة مملوءة بالأخطار والمصائب، فاتخذوا من المحسوسات التي كانت في بيئتهم ما يساعدهم على إبراز هذه الصور، وأهم ما أخذوه من المحسوسات الرّحى والنار والغبار والأسد، ومن المعنويات عبوس الخيل. فالرّحى يوضع فيها الحَبّ فتطحنه طحنا، وكذلك المعركة تجمع الناس ثم تبيدهم وتهلكهم، والنار تلتهم الحطب وتأتي عليه حتى يصير رمادا، وهكذا المعركة تهلك المتحاربين وتؤذي كل من يصيبه شررها، والشخص يشمّر عن ساقه عند الخطر علامة للجد واستعدادا للهجوم، وكذلك المعركة عندما تكون على وشك الشروع في القتال، والحيوان يكشر عن أنيابه حين يشتد غضبه، ويقصد إهلاك فريسته، وهكذا المعركة عندما يراد منها الإبادة(٥٩). وذكر الشاعر الجاهلي عامة والشاعر الفارس خاصة الحروب التي خاض، والحروب التي يعزم على خوضها أو يهدّد بخوضها. وذكر الحرب في مختلف أطوارها: الإعداد والسّير واللقاء والإنجاز والنهاية، وذكرها أحيانا ذكرا سريعا في نتف شعرية مجملة، وأحيانا في قطع وأجزاء من قصائد، وخصها في مواضع كثيرة في شعره بتفصيل في ذكر مراحلها ودقائقها؛ وأصبحت الحرب عند الشاعر الجاهلي غرضا قائما في أغراض الشعر بذاته، تقصّد فيه القصائد، ويقدّم له بالنسيب والطلليات(٦٠). ومن اللافت للنظر في وصف الحرب عند الشاعر الجاهلي تنويعه في أسمائها وصفاتها وكناها، والمتواتر عنده في هذا الصدد ذكر كلمة «يوم» بمعنى حرب، ومعلوم أن «أيام العرب» هي «الوقائع الحربية التي كانت تدور في الجاهلية بين قبائل البدو، والتي دوّنت ابتداء من القرن الثاني للهجرة، دوّنها الرواة والإخباريون الذين اشتغلوا بالشعر الجاهلي، وهي تعني الحروب، وقبل ذلك تعني الشدائد والمحن»(٦١).

وذكر شاعر الجاهلية كلمة «يوم» غير مرة مضافة إلى مصدر مثل قوله «يوم اللقاء» مكنيا به عن الحرب تكنية لطيفة تتضمن معنى الشوق، شوقه للحرب، وكذا «يوم النزال» و «يوم الطعن» و «يوم الطعان» و «يوم الزّحام» و «يوم القتال» و «يوم الهياج» كناية عن حال الغضب والثورة، وأضافة أحيانا إلى المكان الذي دارت فيه المعركة كـ «يوم العين» و «يوم المَرْوَرَاة» و «يوم الشِّعب» و «يوم النّسار» و «يوم النبّاح» و «يوم جواثى» و «يوم المشقّر»، وحدّده أحيانا أخرى تحديدا ظرفيا زمانيا، يقول عامر بن الطفيل(٦٢):

بالكَوْرِ يومَ ثوى الحُصَينُ وقد رأى ... عَبْدُ المَدَانِ خُيُولَهَا تعدو
وقد علموا أنيّ أكُرُّ عليهم ... عشيّةَ فَيْفِ الرّيح المُدَوِّرِ

ويقول علقمة بن عبدة(٦٣):

فقاتَلْتَهُم حتى أتّقَوْكَ بكبشهم ... وقد حانَ من شمس النهار غُروبُ

ويقول عبيد بن الأبرص(٦٤):

وغداةَ صَبَّحْنَ الجِفَارَ عَوَابِساً ... يَهْدِي أوائِلَهُنَّ شُعْثٌ شُزَّبُ

ويقول عنترة(٦٥):

سلي يا عبلُ عنّا يوم زُرْنَا ... قبائلَ عامرٍ وبني كلابِ

والتنويع في أسماء الحرب آية على مختلف ضروب الإحساس بها وعلى ثراء أساليب تصويرها مما يعطي صورة متكاملة الجوانب عنها، فـ«الحرب» هي التسمية الأشمل لمختلف جوانب الظاهرة العسكرية، وذلك لدلالتها على الحال النفسية والفعل القتالي معا، و «المعركة» تعني المكان والحال تبعا لصيغتها الصرفية، وتبعا لمعناها الأصلي، فـ «العراك: ازدحام الإبل على الماء»(٦٦)، ومعناها «الالتحام في القتال»، مما يرشّح كلمة «معركة» للاطلاع بتصوير المظهر البصري للحرب، أما كلمة «الوغى» فتطلع بتصوير المظهر الصوتي منها، وكذلك «المعمعة» ـ وهي صوت الحريق في القصب ونحوه ـ تضيف إضافة لمسية تبعا لمعناها «شدة الحرّ». أما كلمة «الهيجاء» ففيها معنى الغضب والثورة، وهي تلتقي بـ «الغمرة» بمعنى الشدّة، و «الوقيعة» بمعنى الصدمة؛ صدمة الحرب والقتال، تعبر عن الجانب النفسي

للمحاربين وعن جوّ الحرب عموما، بينما تدل صفة «العوان» على الحرب التي تطول ويحارب فيها مرّات، والأصل في «العوان» أنها صفة المرأة التي تزوجت غير مرّة، أي التي بدّلت الأزواج ممّا قد يوحي بالنحس والشؤم، وهي صفة تلتقي بصفة أخرى من صفات الحرب وهي «الكريهة» وتعني الانطباع الذي تخلفه الحرب في نفوس الناس وخوفهم إياها. وبهذا نرى غناء الحقل المعجمي والدّلالي المتعلّق بذكر الحرب والمعركة في شعر الشعراء الجاهليين عامة والشعراء الفرسان خاصة.

أمّا المعارك التي وصفها الشاعر الجاهلي في شعره فمنها القصير الخاطف الموجز الذي يقتصر على الهجوم، يقول عامر بن الطفيل(٦٧):

وانقَضَتِ الخيلُ من وادي الذِّباب وقد ... أَصْغَتْ أَسِنَّتَهـا حُمـراً مِنَ الـوَدَجِ
ولقـد وَرَدْنَ بنا المـدينـةَ شُـزَّبـاً ... ولقـد قَتَلْنـا بِجَـوِّهـا الأَنْـصَـارا
وإنّي أكُـرُّ إذا أحـجَـمُـوا ... بـأَكْـرَمَ مِنْ عَـطْفَـةِ الـضَّـيْـغَـمِ

ويقول عمرو بن الأهتم(٦٨):

فَنَحْنُ كَـرَرْنَـا خَلْفَكُمْ إذْ كَـرَرْتُـمُ ... ونحنُ حَمَلْنَـا كَلْمَـكُمْ يَـوْمَ عَـيْهَـمَا

ويقول جارية بن مُشَمِّت(٦٩):

كـررتُ الـوِرْدَ يـومَ جريـر غَـوْلٍ ... أُحـاذِرُ بـالـمـغـيـبَـةِ أنْ يُـلامُـوا

ويقول عوف بن عطيّة(٧٠):

وَنَـكُـرُّ أُولاهُـمْ عـلى أُخْـرَاهُـمُ ... كَـرَّ المُحَـلإِ عن خِـلاطِ المَـصْـدَرِ

ويقول المرقّش الأكبر(٧١):

فـانقضَّ مثـلَ الـصَّقْـرِ يَـقْـدُمُـهُ ... جَيْشٌ كَـغُـلاَّنِ الـشُّـرَيْـفِ لَهـمْ

أو قتل الأعداء والفتك بهم وضربهم ضربا لا هوادة فيه وإبادتهم، يقول الأضبط بن قريع(٧٢):

قَـتَّـلْتُـهُـمْ وأَلَجْـتُ بَـلْدَتَهُـمْ ... وأَقَـمْـتُ حَـوْلاً كـامـلاً أَسْـبِـي

ويقول عامر بن الطفيل(٧٣):

أَبَـدْنَـا حيَّ ذي البَـزَرَى وَكَعْبـاً ... ومـالِكَهـا وأهْـلَكْنَـا بَـشِيـرَا

ويقول بشر بن أبي خازم(٧٤):

وَصلَقْنَ كعبـاً قبـل ذلـك صَلْقَـةً ... بِقَنـاً تَـعَـاوَرَهُ الأكُـفُ مـقـوَّمِ

ويقول الحارث بن ظالم(٧٥):

فَتَكْتُ بـه كـما فتكْتُ بـخـالـدٍ ... وكـان سـلاحي تَحْتَـوِيهِ الجَمَـاجِمُ

أو العودة المظفرة المكلّلة بالنصر، يقول عنترة(٧٦):

وعُـدْتُ مُخضَبـاً بِـدَمِ الأعـادي ... وَكَرْبُ الرَّكْضِ قـد خَضِبَ الجَوَادَا

ويقول عامر بن الطفيل(٧٧):

فـأُبْنَـا غـانمـين بمـا استَفَـأْنَـا ... نَسُـوقُ البيضَ دَعْـواهـا الأليـلُ

ومنها معاركُ أطنبَ شاعر الجاهلية في وصف جزئياتها ودقائقها، فجاءت مطوّلة، واحتل وصفها الصفحات، إذْ ذكر فيها مكان الحرب وزحف المتحاربين بعضهم إلى بعض، ووصف السلاح وعمليات الهجوم والطعان والضرب ووطيس المعركة ومداها الزمني، وانخذال الخصوم وانهزامهم وفرارهم وتركهم الجرحى والقتلى والأسرى والسَّبايا، وذكر الخيل وما تحدثه من غبار، وذكر ما لها من فضل في إحراز النصر(٧٨):

وأكثر صور المعركة بروزاً عند شاعر الجاهلية صورة «الرَّحى» وصورة «النار» وصورة «الغبار» كما تتواتر في وصف شاعر الجاهلية للمعارك صور أخرى مثل صورة المقاتلين فهم «أسد» وصورة «عبوس الخيل». فالحرب رحى ترحى، وطاحونة كبرى، طحينها الرجال، فالشاعر عمرو بن كلثوم يزهو لأن قومه قادرون على نقل الطاحونة «الرحى» إلى حيث يتخندق الأعداء فيشهد الميدان طحينا هائلا(٧٩):

مـتى نـنـقـل إلى قـومٍ رحـانـا ... يكـونـوا في اللقـاء لهـا طحينـا

ويقول زهير بن أبي سلمى مشبها صنيع الحرب في الرجال بصنيع الرحى بالثفال(٨٠):

فتعــرُكُكُمْ عَـرْكَ الــرَّحَى بِثَفَــالِهَــا وَتَلْقَــحْ كِشَــافــاً ثم تُنْتَــجْ فَتُتْـــمِ

ويقول مهلهل بن ربيعة أن هذه الرحى تطحن الأيدي التي تمسك قطبها، خاصة إذا كانت الرحى التي هي الحرب بين الأشقاء وأبناء العمومة(٨١):

كــأنّــا غــدوة وبــني أبــيــنــا بــجــنــب عــنــيــزة رحــيــا مــديــر

ويقول عنترة مشبها جولان قومه في الميدان بدورة الرحى حول قطبها، فهم يدوسون ساحة الحرب مرة بعد مرة كالرحى، فما نجا من وطأتها من دورة لا ينجو مع الأخرى، وفي هذا إشارة إلى إحداقهم بأعدائهم وتقصيهم لهم في طلبهم(٨٢):

ودُرْنــا كما دارت عـلى قطبهــا الـرَّحى ودارتْ عـلى هام الـرِّجال الصفـائحُ

ويقول أبو غول الطهوي ناعتا الفوارس الذين معه، أنهم لا يملون المنايا إذا ما دارت رحى الحرب(٨٣):

فــوارس لا يمــلون المــنــايــا إذا دارت رحــى الحــرب الــزبــون

ويذكر ربيعة بن مقروم ما حلّ بفرسان الأعداء إذْ صاروا عظاما بالية عندما دارت رحى قومه(٨٤).

وصورة الرحى لئن أوحت بحركة التطويق والمحق فإنه يغلب عليها المظهر الصوتي، فهي صورة سمعية يمثل فيها الشاعر ما يمتلىء به ميدان المعركة من ضجة وصخب وجعجعة.

وصوّر الشاعر الجاهلي الحرب انها نار توقد فتتقد، يصلى لظاهـا الأبطال، ويحترق بلهيبها وجمرها الجبناء، فعنترة يفخر بأنه مقدام لا يهاب ميدان القتال وخاصة اذا كانت الحرب حامية الوطيس، ونارها تتقد اتقادا(٨٥):

وخُضْتُ بمُـهْـجَـتي بـحــرَ المـنـايــا ونــارُ الحــربِ تَـتَّـقِـدُ اتّــقــادا

ويقول زهير بن ابي سلمى مشبها الحرب الشديدة بنار موقدة بحطب جزل(٨٦):

إذا لَـقِحَـتْ حَــرْبٌ عَــوَانٌ مُضِـرَّةٌ ضَـرُوسٌ تُهِرُّ النـاسَ انيـابُهـا عُصْـلُ
قُـضَــاعِـيــةٌ او أُخـتُهــا مُـضَــرِيَّــةٌ يُحَـرَّقُ في حَـافـاتِهـا الحَـطَبُ الجَـزْلُ

والحرب يشتد اتقادها اذا توافر لها من يعمل على تهييجها وتثويرها، يقول زهير(٨٧):

متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً   وَتَضْرَ اذا ضَرَّيْتُمُوها فَتَضْرَمِ

والحرب اذا احتدمت وتوقدت نيرانها ترى رجالها وكماتها يبلون احسن البلاء في القتال، يقول الأعشى في مدح اياس بن قبيصة الطائي(٨٨):

وفي الحَرْبِ منه بلاءٌ اذا   عَوَانٌ تَوَقَّدَ أجذالُها

وللمعركة صورة اخرى عند شاعر الجاهلية، هي صورة «الغبار» والغبار له عنده تسميات عدّة هي «النقع» و«العجاج» و«القتام» و«الرّهج». وصورة العجاج بصرية بحتة تحتمل معنى كثرة الحركة والسرعة والاشتباك، وتسير تدرّجا من «الغبار» الى «القتام»، ويؤكد فيها الشاعر على التناسب الطردي بين اتساع الغبار وكثافته حتى يشبه ظلام الليل وبين ضراوة المعركة، يقول عنترة(٨٩):

وضَرْبٍ وطعنٍ تحت ظلِّ عَجَاجَةٍ   كَجُنْحِ الدُّجى من وَقْعِ ايدي السَّلاهبِ
تطيرُ رؤوس القوم تحت ظلامها   وتنقضُّ فيها كالنجوم الثواقب
وتلمعُ فيها البيضُ من كلِّ جانبٍ   كلمعِ بُروقٍ في ظلامِ الغياهِبِ

وكان الشاعر الجاهلي يربط بين العجاجة والظلمة، ويرى فيها منزلة تالية للنقع. يقول عامر بن الطفيل(٩٠):

يضربون الكُماةَ في ثورة النَّقْع   اذا حَرْبُهُمْ بَدَتْ واسَجَهَرَّتْ
وأثارتْ عَجَاجَةً بَعْدَ نَقْعٍ   وصهيلٍ مُسْتَرْعِدٍ فاكْفَهَرَّتْ

ويقول ايضا(٩١):

وأنيّ أُشَمِّصُ بالدّارعين   في ثورةِ الرَّهَجِ الأقْتَمِ

ولعلّ ابرز ما يوحي به تصوير الغبار معنى عشوائية خروج الخيل من ارض المعركة او دخولها فيها، عابسة كريهة المنظر لما بذلت او ستبذل من الجهد في الحرب، يقول بشر بن ابي خازم(٩٢):

يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغُبَارِ عَوَابِساً   خَبَبَ السباع بكُلّ أَكْلَفَ ضَيْغَمِ

ويقول الأعشى(٩٣) :

يخْـرُجْـنَ مِـنْ خَـلَلِ الـغـبـا ... رِ عَـوَابِـسـاً لُحُـقَ الأيَـاطِـلْ

ويقول خداش بن زهير(٩٤) :

جلبنـا الخيـل سـاهمـة اليـهـم ... عـوابِسَ يـدَّرِعْـنَ الـنـقْـع قـودا

ومن الصور التي اهتم شاعر الجاهلية ابرازها وجلاءها في المعركة صورة المقاتل التي تشبه صورة الأسد، يقول زهير بن ابي سلمى(٩٥) :

لَيْثٌ بِعَـثَّرَ يصـطادُ الـرجـالَ اذا ... مـا كذَّبَ اللّيْثُ عن اقـرانِـهِ صَدَقَـا

ويقول الأعشى(٩٦) :

فَغَـدَوْنَـا عـليـهـمُ بَـكْـرَ الـوِرْ ... دِكـما تـوردُ النَّـضِـيـحَ الهِـيـامَـا

بـرجـالٍ كـالأُسْـدِ حَـرَّبَهَـا الـزجْـرُ ... وخـيـلٍ مـا تُـنْـكِـرُ الاقـدامـا

ويقول ودّاك بن ثُميل(٩٧) :

رُوَيْـدَ بني شَيْبَـانَ بعضَ وعيـدِكُم ... تُـلاقُـوا غـداً خيلي عـلى سَفْـوَانِ

عليهـا الكُمَـاةُ الغُـرُّ مِنْ آلِ مـازنٍ ... لُيُـوثُ طِعَـانٍ عنـد كُـلِّ طِعَـانِ

ويقول عوف بن عطية مفتخرا على اعدائه(٩٨) :

وكُـنَّـا بـهـا إسَـداً زائِـراً ... أبَى لا يُحَـاوِلُ الا سِـوَارَا

ووازن الشاعر الجاهلي بين صورة المقاتل في المعركة وصورة الأسد في المأسدة، يقول الأفوه الأودي(٩٩) :

فـلما ان رأونـا في وغـاهـا ... كـآسـاد الـعـريـنـة والحـجـيـب

وكان الشاعر الجاهلي حريصا ان تكون صورة المقاتل تشبه صورة ليث فاتك مجرّب يقول لبيد بن ربيعة(١٠٠) :

ولن يعـدمـوا في الحـرب ليثـاً مجربـاً ... وذا نـزل عـنـد الـرَّزيّـة بـاذِلا

والتفت الشاعر ابو قيس صيفي بن الأسلت الى صورة جـديدة تلمح من خلالها الأعداء بأقنعة الأسد، وقوم الشاعر لا يعبأون بهم فيذودونهم بالسيوف(١٠١) :

نذودهم عنا بمستنة ذات عرانين ودُفّاع
كأنهم أُسْدٌ لدى أشبل ينهتن في غيل وإجزاعَ

اما عوف بن عطية فقد قلب الصورة وجعل قومه يلبسون للأعداء جلود الأسد والنُمْر(١٠٢):

وَنَلْبَسُ لِلعَدُوّ جُلُودَ أُسْدٍ اذا نَلْقَاهُمُ وَجُلُودَ نُمْرِ

واذا ولّد مالك بن عجلان صورتين فنيتين عندما شبّه قومه المقاتلين وحركتهم في ارض المعركة، نراه يغلّب صورة الأُسد على صورة الجمال(١٠٣):

يمشون في البيض والدروع كما تمشي جمالٌ مصاعبٌ قطف
كما تمشي الأسود في رهج الموت اليه وكلهم لهُفُ

اما احيحة بن الجلاح فقد انجز نصا قابل فيه بين فتيان الحرب وأُسد الغابة، فشبه الفتيان بالأُسد والحرب بالغاب(١٠٤):

ولقد وجدت بجانب الضحيان شبانا مهابة
فتيان حرب في الحديد وشامرين كأسد غابة
هُمْ نكّبوكَ عن الطريق فبتَّ تركب كلّ لابة
أعصيمُ لا تجزع فان الحرب ليست بالدعابة.

ويشبه خفاف بن ندبة نفسه بأسد في عرينه، وقد تأهب للصيد وطريدته الرجال، والعلامة بقايا لحومهم ودمائهم على اشداقة(١٠٥):

ان تلقني تلق ليثاً في عرينته من اسد خفان في ارساغه فدع
لا يبرح الدهر صيدٌ قد تقنصه من الرجال على اشداقه القمع

وتنتهي المعركة عند الشاعر الجاهلي بصورة انتشار اجساد الجرحى وجثث القتلى في ساحة المعركة، وتعثر خيل المنتصرين فيها، وتلطخها بدمائها، وبالأسر والفرار، يقول عنترة(١٠٦):

حتى رأيتُ الـدُّهْمَ بعد سـوادِهـا ... حُمْـرَ الجلودِ خُضِبْنَ من جرحـاهـا
يَعْثُـرْنَ في نَقْعِ النَّجيـعِ جَـوَافِـلاً ... وَبَـطْأْنَ مِنْ حَمْيِ الـوَغَى صَـرْعـاهـا

ويقول المرقش الأكبر(١٠٧):

فـأقـبـلْنَهُـمْ ثُـمَ ادْبَـرْنَهُمْ ... فـأصْـدَرْنَهُمْ قبـل حـين الصَّـدَرْ
فـيـا رُبَّ شِـلْو تَخَـطَّرْفْنَـهُ ... كـريـم لـدى مَـزْحَـفٍ او مَـكَـرّ
وآخَـرَ شـاص تـرى جـلْدَهُ ... كَـقِشْـرِ الـقـتـادَةِ غِـبَّ المَـطَرْ
وكـائِـنْ بِـحُـمْـرَانَ مِـنْ مُـزْعَـف ... ومـن رجُـل وجـهُـهُ قـد عُـفِـرْ

ويقول عامر بن الطفيل(١٠٨):

- فـأمـا فـريقٌ بـالمَصَـامَـةِ مِنْهُمْ ... ففـرّوا وأُخرى قـد أُبيـرَتْ جُـدُوُدُهَـا
- اسـرنـا حـاجبـا فثـوى أسيـراً ... ولم نـتـركْ لأسْـرَتِـهِ سَـوَامَـا
وَجَمْـعِ بـني تميـمٍ قَـدْ تَـرَكْنَـا ... نُبِـينُ سَـوَاعِـداً مِنْهُـمْ وَهَـامَـا

ويقول عبيد بن الأبرص(١٠٩):

ونحن قَتَلْنَـا الأجْـدَلَـيْنْ ومـالِكـا ... أعـزّهُمَـا فَقْـداً عليـكَ وهـالِكـا
ونحن جعلنـا الـرُمْـحَ قِـرْنـا لِنَحْرِه ... فَـقَـطَّرَهُ كـأنمـا كـان وارِكـا

البطــل:

عرف الجاهليونَ عامة والشعراء خاصة صفات البطل في الجاهلية، فهو ذلك الشخص الذي كانوا يعدونه ذخيرة لوقت الخطر، واهلا للاعتماد عليه في القتال، وقد تصوره شاعر الجاهلية «الرجل الكامل» او الشخص المثالي الحقيقي(١١٠).

والذي يهمّ البحث في هذا المقام ان يؤلف صورة متكـاملة الجوانب لبـطل الحرب في الجاهلية، راسما فيها صفات المحارب الأمثل، وكيفية ادائه، وما جبل عليه من سلوك اخلاقي.

أ ـ صفات البطل وخصاله الحربية:

ان اول ما يطالعنا من صفات الفارس الجاهلي الحربية صفة الحذر والاستعداد للضرورة الدفاعية:

إنّي أُحـاذِرُ ان تـقـولَ ظـعـيـنـتي   هـذا غُبَـارٌ سـاطـعٌ فتـلبَّبِ(١١١)

وانّ الذي يجعل البطل بطلا الى جانب صفة دوام التأهب للحرب وانتقاء اجود الخيل والسلاح لها وتعهده حزما واحترازا حتى لا يفاجأ ويؤخذ على غرّة - صفة الشجاعة ورباطة الجأش:

فـلم انْكُـلْ ولم اجْـبُنْ ولـكـنْ   يَمَمْتُ بهـا ابـا صَخْـرِ بنَ عَـمْـرو
شككـتُ مُجَـامِـعَ الأوصـالِ منـه   بـنـافـذة عـلى دَهَش وذُعْـرِ
تـركتُ الـرُمْـحَ يَبْـرُقُ في صَلاه   كـأن سِنـانَـهُ خُـرْطُـومُ نَسْـر
فـإنْ يَـبْـرَأْ فـلم أَنْـفِثْ عـليـه   وانْ يَهْلِكْ فـذلك كـان قَـدْرِيَ(١١٢)

- صـلبـاً اذا خـارَ الـرجـا   ل أبـلَ ممتـنـعَ الـشكـائِمْ(١١٣)

وصفة الصبر على مكاره الحرب وتوطيد النفس على النصر:

- وفي الحـرب مـنـه بـلاء اذا   عَـوَانٌ تـوقَّـدَ اجْـذَالُهـا
وصـبْـر عـلى الـدَّهْـر في رُزْئِـهِ   واعـطاءُ كـفٍ وإجْـزَالُهَـا(١١٤)

- فَصَبَـرْت عـارفـةً لـذلـك حُـرَّةً   تـرسُـو اذا نفسُ الجبـانِ تطلَّعُ(١١٥)

وصفة الاقدام والجرأة والمبادرة بالهجوم والمبادرة بالضرب، والملحوظ ان هذه الخصال الحربية تكتسب اكتسابا، يكتسبها المحارب من طول تمرّسه بالحرب وبلائه فيها:

- إنْ تسـألي الخيلَ عَنّـا في مَـوَاقفهـا   يَـوْمَ المُشَقَّـرِ والأبـطالُ في زَعَـجِ
تُخْبِـرْكِ أنّي أُعِيـدُ الـكَـرَّ بَيْـنَهُـمَ   اذا القنا حُطِمَتْ في يَوْمِ مُعْتَلَجِ(١١٦)

وكـان ابي عُـتَـيْـبَـةُ سَـمْـهَـرِيّـاً   فـلا تَـلْقَـاهُ يـدَّخِـرُ الـنَّصِيـبَـا
ضَـرُوبـاً للكميِّ اذا اشْـمَـعَـلَّتْ   عـوانُ الحربِ لا وَرَعـاً هَيُـوبَـا(١١٧)

وقـد غـدوتُ عـلى قِـرْني يُشَيّعُني   ماض اخُو ثقةٍ بالخير مَوْسُـومُ(١١٨)

ومما نلحظه من صفات ان الفارس الجاهلي اوقف حياته على الحرب.

وانـا ابـن حـرب لا ازالُ اشبّـهـا   سَعْـراً وأُوقـدُهـا اذا لم تُـوقَـدِ(١١٩)
لـقـد تـعـلـمُ الحـربُ انّي ابـنُهـا   واني الهمـامُ بهـا المُـعْـلـمُ(١٢٠)
خُلِقْتُ للحـرب أحميهـا اذا بـردتْ   واصطلي بلظاهـا حيثُ تحتَـرِقُ(١٢١)

والخيــل تـعـلُم والـفــوارسُ انــني   شيخُ الحُروبِ وكهلُها وفتاهـا(١٢٢)

ب ـ اداء البطــل :

توافرت للفارس الجاهلي عناصر تتصل بجودة أداء الفعل القتالي وكمالـه ، واهم هذه العناصر السرعة والدقة والقوة ، وقد كان ناجحا اذْ عبّر عن سرعة اصابته الخصوم بأنه «يأخذهم» أخذا :

كم فـارس بـين الصفــوف أخـذتُــه   والخيُـل تعـثر بـالقنـا المتكسّــرِ(١٢٣)

او «يخطف» الفرسان خطفا :

ولكم خَـطِفْتُ مُـدَّرعـاً من سَـرْجِــهِ   في الحـرب وهو بنفسـه لم يَشْعُرِ(١٢٤)

ويبدو من شعر الفارس الجاهلي حرصه على ان تكون طعنته وضربته دقيقة صائبة لمقاتل العدو:

وَشَــفَـيْــتُ نـفس مــن ذَوي يَمَــن   بـالـطَّعْنِ في اللَّبَّـاتِ والضَّـرْبِ(١٢٥)

والحكمة في ذلك لتكون قاضية ، ولتدلل على انها ضربة خبير بالمعارك يسدّدها الى حيث ينبغي حتى يضمن لنفسه الغلب السريع ، واكثر مضارب العدو ومطاعنه ورودا في الشعر الجاهلي عامة وشعر الفارس خاصة ، الأحشاء ومجتمع العظام (المفاصل) والكُلَى ، والنحور والتراقي :

تمــطَّتْ بحمــران المَنِيَّــةُ بَعْــدَمَــا   حَشَـاهُ سِنانٌ من شَـرَاعَةِ أزْرَقُ(١٢٦)

شككـتُ مَجَــامِــعَ الأوصِــالِ مِنْــهُ   بنــافِـذَةٍ عــلى دَهَشٍ وَذُعْــرِ(١٢٧)

لـيس بـيـني وبــين قـيس عِــتــابٌ   غَيْرُ طعنِ الكُلَى وَضَرْبِ الرّقابِ(١٢٨)

وإنْ طَعَنَ الـفــوارسُ صَــدْرَ قــومٍ   فـطعني في النّحور وفي التـراقي(١٢٩)

ومع الدقة في الطعن يبرز عند الشاعر الفارس معنى العمق ايضا :

ومـا أدْري مـا اثــوابُـه . . غــيرَ انني   غَبَأْتُ له بالرُمْحِ مُسْتَمْكِناً يدي(١٣٠)

ولقــد نكبْتُ بـني حُــرَيْفَــةَ نَـكْبَــةً   لَمّـا طَعَنْتُ صَميمَ قلب الأخْيلِ(١٣١)

ومن مظاهر حسن الأداء في حروب الفارس الجاهلي القوّة ، ويأتي تعبيره عنها إمّا في صور الضرب العنيف :

واضـرب بـالسّيف يـوم الـوغى — أقُـدُّ بـهِ خَـلْقَ المُـبْـرَم (١٣٢)
نَـفْـلي بِحَـدّ الصَّفيـح هـامَهُـمُ — وَفَلْيُنـا هـامَهُمْ بهـا عُنُفُ (١٣٣)

واضْـرِبُ القَـوْنَسَ يَـوْمَ الـوَغَـي — بـالسّيْفِ لم يَقْصُرْ بـه بـاعي (١٣٤)

او بأساليب ايحائية تتصدرها صور الدماء تتدفّق فائرة فائضة:

وقـد أتْرُكُ القِـرنَ الكَمِيَّ بِصَدْرِهِ — مُشَلْشَلَةٌ فَـوْقَ النّـطِاقِ نَفُـوحُ
دفُـوعٌ لأطْـرَافِ الأنـامِـلِ ثـرَّةٌ — لها بَعْدَ إنْزَافِ العَبيطِ نَسِيحُ (١٣٥)
يهـزُّون سُمْـراً مِن رمـاحِ رُدَيْنَـةٍ — إذا حُـرِّكَتْ بَضَّتْ عواملُهـا دَمَا (١٣٦)
يُـفيضُ سِنـاني دمـاءَ الـنـحـور — ورمحي يشُكُّ مع الـدِرع قلبَهْ (١٣٧)

والبطل الجاهلي إذْ تكتمل له اسباب البطش والتفوّق على عدوه، ويصبح مهابا مخوفا جانبه، نراه يذكر اعداءه تارة في حال الجمع وتارة اخرى في حال الافراد، فان كانوا جمعا فلهم منه ان يفرّق شملهم ويقتلهم ويبيدهم:

وَطَـاعَنْتُ جَمْعَ القَـوْمِ حتى رأيتُهُمْ — على قُلُص تعـدُو بهِمْ وبكـارِ (١٣٨)
ونحن نَفَيْنَا مَذْحِجـاً عن بلادِهـا — تُقَتَّـلُ حتى عـادَ فـلاّ شَـديـدُهَـا
فـأمّـا فـريـقٌ بـالمَصَـامَـةِ منهم — ففرّوا وأخرى قد أُبيرَتْ جُدودُهَا (١٣٩)
لَقَيْنـاهُمْ ببيضٍ مُـرْهَـفَـاتٍ — نُقَتّلُهُمْ بهـا حتى أُبِيـدُوا (١٤٠)
هَـلاّ سـألْـتَ جُمُـوعَ كِـنْـدَةَ — إذْ تَـوَلَّـوْا: أيْـنَ أيْـنَـا
أيـامَ نـضـربُ هـامَـهُـمْ — بِبَـوَاتِـرٍ حتّى انـحَنَـيْـنَـا (١٤١)

وإن كان العدو فرداً، فغالبا ما يتخيره من الأشراف والبواسل والكماة، ويذكر اختلاءه به في موقع بارز من مشهد المعركة، ويأتي حديثه عنه ذاكرا بطشه به بصورة قوية وسريعة يحدوه الثقة في صنيعه:

شـككـتُ بـه مَجَـامِـعَ رُحْبَيَيْـهِ — فـصـار رداؤهُ مِنْـهُ طَـمِيـلُ (١٤٢)
غـادرتُـه لـلجنب غَـيْرَ مـوسّـدٍ — مُتَثَنِّيَ الأوصـالِ عنـد مجـالِ (١٤٣)

ويميل احيانا الى تفصيل فعله بمن تخيّره واختلى به من الأبطال، مصورا ذلك تصويرا داميا مرعبا:

وَقِرْنٍ تركْتُ الطيرَ تَحْجِلُ حَوْلَهُ عليه نجيعٌ من دَمِ الجوفِ جاسِدِ
حَشَاهُ السِّنَانُ ثُمَّ خَرَّ لأنْفِهِ كما قَطَّرَ الكَعْبَ المؤرَّبَ ناهِدُ(١٤٤)
وحليلِ غانيةٍ تركْتُ مُجَدَّلاً تمكو فريصتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ
سَبَقَتْ يداي له بعاجلِ طعنةٍ ورشاشِ نافذةٍ كلونِ العَنْدَمِ

الى قوله:

فطعَنْتُهُ بالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ بمُهَنَّدٍ صافي الحديدةِ مِخْذَمِ
عهدي به مَدَّ النهار كأنَّما خُضِبَ البَنَانُ ورأسُهُ بالعِظْلَمِ(١٤٥)

ج ـ اخلاق البطل العسكرية:

ينضاف الى استعداد فارس الجاهلية الفطري للحرب، ومهارته فيها، وتفوقه ـ اخلاق يمكن نعتها بأخلاق الحرب، ومنها سرعة تلبية النداء الى الحرب، لنصرة القوم وشدّ ازرهم:

أَلَمْ تَرَ قومي إذْ دَعَاهُم أجَابُوا وإن يَرْكَبْ الى الحرب يَرْكَبُوا(١٤٦)
إذا ما مُنادي الحيِّ نادى أجَبْتُهُ وخيلُ المنايا بالجماجم تَعْثُرُ(١٤٧)

وإغاثتهم في المواقف الحربية الحرجة:

فَطِرْنَا عَجَالَى للصّريخ ولا ترى لَنَا نَعَماً مِنْ حيثُ يَفْزَعُ شلَّتِ(١٤٨)
كُنّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ كان الصُّرَاخُ له قَرْعَ الظَّنَابيبِ(١٤٩)

ونجده المكروب المشرف على الموت:

ومكروبٍ كشفتُ الكرب عنه بضربة فَيْصَلٍ لَمَّا دَعَاني(١٥٠)
دعاني سُمَيْطٌ يَوْمَ ذلك دَعْوَةً فَنَهْنَهْتُ عنه والأسِنَّةُ شُرَّعُ
ولولا دفاعي عن سُمَيْطٍ وَكَرَّتي لَعَالَجَ قِدّاً قَفْلُهُ يَتَقَعْقَعُ(١٥١)

كما أُثر عن البطل ترفعه عن الغدر:

فأبْلغْ إنْ عَرَضْتَ جميعَ سَعْدٍ فبيتوا لَنْ نَهيجَكُمْ نِيَامَا(١٥٢)

ورفضه الظلم:

أَلَمْ تَعْلَمِي أني إذا الإِلْفُ قَادَني ... إلى الجَوْرِ لا أَنْقَادُ والإِلْفُ جائِرُ(١٥٣)

وخبرته بخطط الحرب وجوانبها الاستراتيجية والتقنية ـ كما يقال اليوم ـ عارفا بأجوائها النفسية، وأصوب مثال على ذلك عنترة بن شداد، إذْ ينظم جيشه، ويصيح فيه لتعبئته ودفعه للهجوم، بعد لحظة ضعف واحجام وتردد واختياره الطريق إلى قائد جيش العدو وأبرز أبطاله، بادئا بالأضعف من رجاله:

فأتيتها والشمس في كبد السّما ... والقوْم بين مُقدِّم ومؤخّرِ
ضجّوا فصحتُ عليهم فتجمّعُوا ... ودنا إليَّ خميسُ ذاك العسكَرِ
فشككتُ هذا بالقنا وعلوْتُ ذا ... مع ذاك بالذَّكر الحُسام الأَبتَرَ
وقصدتُ قائدهم قطعتُ وريدَه ... وقتلتُ منهم كُلَّ قَرْمٍ أكبرِ(١٥٤)

وأورد أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه خبرا يؤكد معرفة عنترة بالترتيب الدقيق لأفعاله في أرض المعركة، وامتلاكه خبرة عسكرية تنّم عن بطل، فإذا قيل له «أنت أشجع العرب وأشدّها؟ قال: لا، قيل فبم شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما، ولا أدخل إلاّ موضعا أرى لي منه مخرجا، وكنت اعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله...»(١٥٥).

العـــدو:

للعدو في الشعر الجاهلي صورتان متقابلتان تتناسب أولاهما مع ما قبل المعركة، وثانيتهما مع ما بعدها.

أ . قدوم العدو:

ورد غير صورة في الشعر الجاهلي لجيش العدو وهو يتجه إلى أرض المعركة لمقابلة الخصم، ومن هذه الصور:

صورة السحاب ذي القرّ والبرد:

فجاءوا عارضاً برداً وجئنا ... كَسَيْلِ العِرْضِ ضاق به الطريقُ(١٥٦)

وصورة الغال لكثرته:

فـانقضَ مثـلَ الـصقـرِ يَـقْـدُمُـهُ جَيْشٌ كَغُـلَّانِ الشُّـرَيْفِ لهَـمْ(١٥٧)

وصورة النار المشتعلة لشدّته، وصورة الطير لسرعته:

وَمُشْعَـلةٍ كـالـطَّيْرِ نَهْنَهْتُ وِرْدَهَـا إذا ما الجبان يـدَّعي وهو عـائذُ(١٥٨)

وصورة المطر القويّ المفاجىء:

سَـلي فَـزَارَةَ عن فعـلي وَقَـدْ نَفَـرَتْ في جَحْفَلٍ حافِلٍ كالعارض الهَطِلِ(١٥٩)

وصورة السيل الجارف، كناية عن غزارة الجيش:

إذا مـا مَشَوْا في السَّـابِغَـاتِ حَسِبْتَهُمْ سُيُولاً وقد جاشَتْ بهنَّ الأباطحُ(١٦٠)

والشاعر الجاهلي حريص التأكيد على كثرة العدوّ في حال هجومه الجماعي، أمّا في وصف العدو الفرد فإن الصور تتنوّع كثيرا، ولكنها تلتقي في صورة الفارس الكامل، ولهذا الفارس مظاهر ثلاث؛ مظهر يتعلق بجسمه، ومظهر يتعلق بمكانته الاجتماعية، ومظهر يتصل بسلاحه وكفاءته الحربية.

فالخصم بدين ضخم قويّ:

فَـلَرُبَّ أبْلَجَ مـثـل بعـلك بـادنٍ ضخْمٍ على ظهر الجـواد مهيَّلِ(١٦١)

يـا رُبَّ قِـرْنٍ قَـدْ تَـرَكْتُ مُجَـدَّلاً ضخمِ الدَّسيعةِ رأس حَيٍّ جَحْفَلِ(١٦٢)

وَلَـرُبَّ سَـيِّـد مَـعْـشَـرٍ ضخمِ الـدّسيعَـةِ قَـدْ رَمَيْنَـا(١٦٣)

والخصم ذو شرف ورفعة، وذو مكانة في قومه، غنيّ عليه سيماء الترف ويلبس مصبوغ النعال، وهو جواد في الأزمات متلاف:

وأسْمَـرَ قَـدْ نَضَيْتُ لـذي سَنـاءٍ يَـرى مني مُخَـالَـطَةَ اليقـين(١٦٤)

رَبِـذٍ يَـدَاهُ بـالـقـداح إذا شتـا هتّـاك غـايـاتِ الـتجـارِ مُلَوَّمِ

بـطل كـأنَّ ثـيـابـه في سَـرْحَـةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ ليسَ بِتَوْأَمِ(١٦٥)

وتام السلاح فهو كميّ.

لألتَمِسَنْ مـنكُـمْ كَمِـيّـاً بِضَـرْبَـةٍ إذا مـا أنا شَاهَـدْتُ يـومَ ذِمَـارِ(١٦٦)

وفيهم كلُّ جَبّارٍ عنيدٍ   شديد البأس مفتولُ السِّبال(١٦٧)

فالخصم محارب شجاع عنيد، وشديد المراس، ومن اللافت للنظر أن الشاعر الفارس يصور بطله أكمل تصوير ثم يصرعه أكمل صرع، يستهدف من ذلك إضفاء قيمة على انتصاره على الخصم الذي يعدّ أقوى الأقوياء وأشجع الشجعان.

ب. انهزام العدو:

بقدر ما تبدو صورة العدو إيجابية في بداية المعركة، تبدو سلبية جدا في نهايتها، وأولى صور الانهزام الإدبار والفرار من ساحة القتال:

لَقِيْنا جَمْعَهُمْ صبحاً فكانوا   كمثل الضأنِ عاداهُنَّ سِيدُ(١٦٨)

ونحنُ صَبَحْنَا عامِراً يَوْمَ أقبلوا   سيوفاً عَلَيْهِنَّ النِّجار بَواتِكا

عطفْنا لهمْ عَطْفَ الضروسِ فأدبروا   سِراعاً وقد بَلَّ النَّجيعُ السنابكا(١٦٩)

تركوا اللَّبوسَ مع السلاح هزيمةً   يَجْرُون في عرض الفَلاةِ المُقْفِرِ(١٧٠)

وإذْ يدبر الأعداء يمعن الغالبون في طرادهم وضرب مؤخرتهم حتى لا يعودوا، ويلجون ديارهم ويقيمون فيها إمعانا في إذلالهم:

فإن تُدْبِروا يأخذْكُمْ في ظهورِكم   ============ (١٧١)

إذْ أدبروا فعملنا في ظُهورهمُ   ما تعمل النارُ في الحَلْفَى فتحترقُ(١٧٢)

قَتَلْتُهُمْ وأَلجتُ بَلْدَتَهُمْ   وأقمتُ حَوْلاً كاملاً أَسْبِي(١٧٣)

ويصور الشاعر الجاهلي ساحة المعركة بعد فرار الأعداء، ذاكرا صور الجرحى والأسرى والقتلى في تعابير تتكرر فيها أفعال بعينها هي «تركت» و «غادرت» في جميع خواتم معاركه تقريبا، فمن صورة مفردة يعَدوّ مغرز جسمه بالرماح.

تركْتُ الرُّمْحَ يَبْرُقُ في صَلاَةُ   كأنَّ سِنانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ(١٧٤)

وَغادَرْنَ نَضْلَةَ في مَعْرَكٍ   يَجُرُّ الأسِنَّةَ كالمُحْتَطِبْ(١٧٥)

إلى صورة ثانية مفردة لعدو جريح أسير يعالج جرحا في ذراعيه:

وقاظَ ابن حِصْنٍ عانياً في بيوتنا   يُعَالِجُ قِدّاً في ذِراعَيْهِ مُصْحَبا(١٧٦)

يُحَرِّكُ رجلهُ رُعباً وفيه   سنانُ الرّمح يلمعُ كالشهّاب(١٧٧)

إلى صورة ثالثة مركبة تجمع بين عنصرين فأكثر من الأسرى والجرحى والقتلى:

فَهُمُ ثلاثةُ أفرقاءَ: فَسابِحٌ ... في الرّمْحِ يَعْثُرُ في النَّجيعِ الأحْمَرِ
ومُكَبَّلٌ يُفْدَى بِوَافِرِ مالِهِ ... إنْ كان صاحبَ هَجْمَةٍ أو أيْصَرِ
أو بَيْنَ مَمْنُونٍ عليه وقومه ... إنْ كان شاكرَهَا وإنْ لم يَشْكُرِ(١٧٨)

فأقْرَرْتُ عيني حين ظَلُّوا كأنَّهم ... ببطن الإيادِ خُشْبُ أثْلٍ مُسَنَّدِ
صريعٌ عليه الطيرُ تَنْتِخُ عَيْنَهُ ... وآخرُ مكبولٌ يميلُ مُقَيَّدُ(١٧٩)

فأبلغ إنْ عَرَضْتَ بني كِلاب ... فإنا نحنُ أقعَصْنَا بَجِيرَا
وَغَادَرْنَا بُرَيْكَيْكُمْ جميعاً ... نُعَشيَّ مِنْ لُحُومِهِمَا النُّسُورا
وَضَرَّجْنَا عُبَيْدَةَ بالعَوَالِي ... فأصْبَحَ مُوثَقاً فينا أسيرا(١٨٠)

ومن عادة الشاعر الجاهلي الفارس أن يتغنى أواخر المعارك بأسماء من يقتل من الأبطال والسادة:

فَغُودِرَ مِنْهُمُ عَمْروٌ وَعَمْرٌو ... وأسْوَدُ والكُمَاةُ بها شُهُودُ
وَعَبْدُ الله غُودِرَ وابنُ بِشْرٍ ... وعتّابٌ وَمُرَّةُ والوليدُ
لقيناهُمْ ببيضٍ مُرْهَفَاتٍ ... نُقَتِّلُهُمْ بها حتّى أبِيدُوا(١٨١)

وقتلتُ فارسَهُمْ ربيعةَ عَنْوَةً ... والهَيْذُبَانَ وجابرَ بن مهلهلِ
وابنيْ ربيعةَ والحريش ومالكاً ... والزّبرقان غدا طريح الجندل(١٨٢)

وتحتل مكانا بارزا من مشهد انتشار جثث القتلى والجرحى ـ صورة الجوارح والضّواري:

تركْنا العُرْجَ عاكفةً عليهم ... وللغِرْبَانِ من شَبَعٍ نَغِيقُ(١٨٣)

لعمري لأشْبَعْنَا ضِبَاعَ عُنَيْزَةٍ ... إلى الحَوْلِ منها والنُّسُورَ القَشَاعِمَا(١٨٤)

تركتُ الطيرَ عاكفةً عليه ... كما تَرْدِي إلى العُرْسِ الغواني(١٨٥)

وإذا فرّق شمل الأعداء وذهبوا بين هارب وأسير وجريح وقتيل، برزت آخر صور الإذلال والإهانة، وهي صورة نسائهم بواكي مسبيات:

إذا جاء سِرْبٌ من نساءٍ يَعُدْنَهُ ... تَبَادَرْنَ شَتّى كُلُّهُنَ تَنُوحُ(١٨٦)

إذا ما عادَهُ منها نساءٌ ... سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِنْ بَعْدِ الرّنينِ(١٨٧)

وتــركــتُ نِسْــوَتَــهُ لَهُنَّ تَـفَـجُّـعٌ   يَنْدُبْنَهُ أُصُـلاً بِنَـوْحٍ مُعْــوِلِ(١٨٨)
وأَرْدَفْـنَـا نِـسَـاءَهُـمُ وَجِئْـنَـا   وَقَـدْ دَمِيَتْ من الخمشِ الخُدودُ(١٨٩)

وهكذا تنتهي المعارك بقلب صورة العدو، فبقدر ما يكون قدومه هائلا مرعبا، تكون نهايته سعيدة مفرحة.

وجملة القول أن صورة الحرب عند الشاعر الجاهلي الفارس ثرّة غزيرة المادّة، متنوعة المظاهر، متعدّدة الأبعاد، قوية مرعبة أيّان دارت رحاها، وحيثما وصفت.

الهوامـــش

٠٠١ ابن خلدون، ج٢، ص ٨٢٣.
٠٠٢ ابن منظور، مادة «حرب».
٠٠٣ عبد الرحمن، ص٥.
٠٠٤ ابن العبد، ص ٦٤.
٠٠٥ التبريزي، شرح القصائد العشر، ص ٣٣١، ص ٣٣٢.
٠٠٦ ابن الأبرص، ص ١٣١.
٠٠٧ الأصمعي، الأصمعية رقم ١٢.
٠٠٨ ابن شدّاد، ص ١٣١.
٠٠٩ المعيني، ص ٣٦٩.
٠١٠ ابن شدّاد، ص ١٥٥
٠١١ الضبي، المفضلية رقم ١٢.
٠١٢ الأصمعي، رقم ٥١
٠١٣ المعيني، ص ٣٦٩.
٠١٤ الحادرة، ص ٥١ ـ ٥٣
٠١٥ الضبي، رقم ٢٢
٠١٦ الضبي، رقم ٥٤
٠١٧ ابن ابي سلمى، ص ٣٠٩
٠١٨ ابن الأبرص، ص ٢٥
٠١٩ ابن شدّاد، ص ٣٥.
٠٢٠ البغدادي، ج٢، ص ٤١٣.
٠٢١ ابن شدّاد، ص ٢٠
٠٢٢ الضبي، رقم ٧
٠٢٣ الضبي، رقم ٤١
٠٢٤ الضبي، رقم ٧٩

٠٢٥ ابن ابي سلمى، ص ١٢٨، ص ١٢٩
٠٢٦ ابن الكلبي، ص ٦٢
٠٢٧ الضبي، رقم ٥٥
٠٢٨ المعيني، ص ١٧٤
٠٢٩ ابن شدّاد، ص ١٩٣
٠٣٠ الغنوي، ص٦
٠٣١ ابن عبد ربه، ج٣، ص ٧٨
٠٣٢ امرؤ القيس، ص ٨٥
٠٣٣ ابن الطفيل، ص ٥٦
٠٣٤ البحتري، ص ٥٢
٠٣٥ ابن الطفيل، ص ٨٢
٠٣٦ ابن الطفيل، ص ٣٢
٠٣٧ ابن الطفيل، ص ٣٧
٠٣٨ ابن شدّاد، ص ٥٤

٠٣٩ ابن الطفيل، ص ٦١، ص ٦٢
٠٤٠ ابن شدّاد، ص ١٥٣، ص ١٥٤
٠٤١ شيخو، ص ٢٦٤
٠٤٢ الضبي، رقم ٣٩
٠٤٣ هذيل، د.ت
٠٤٤ شيخو، ص ٢٦٤
٠٤٥ ابن الطفيل، ص ١٠٢
٠٤٦ ابن الطفيل، ص ٢٧، ص ٢٨
٠٤٧ القلقشندي، ج١١، ص ١٣٩
٠٤٨ ابن الأبرص، ص ٢٣
٠٤٩ الأعشى، ص ١٧٧
٠٥٠ ابن الطفيل، ص ٤٩

٠٥١ ابن شداد، ص٩
٠٥٢ ابن شداد، ص ٢٣
٠٥٣ ابن شداد، ص ١١٤
٠٥٤ ابن شداد، ص ١١٤
٠٥٥ المعيني، ص ٢٦٣، ٢٦٤
٠٥٦ ابن شداد، ص ١٠٣
٠٥٧ التبريزي، ص ٣٦١
٠٥٨ الضبي، رقم ١٢
٠٥٩ الجندي، ص ٧٤ وما بعدها.
٠٦٠ المرقش الأكبر، المفضلية، رقم ٥٤، ابن الأسلت، المفضلية، رقم ٧٥، ابن ابي خازم، المفضلية رقم ٩٧، ورقم ٩٨، ابن عطية، المفضلية رقم ١٢٤، ابن الأبرص، ص ٢٣، ص ٣٢ ـ ٣٤، ص ٤٩ ـ ٥٠، الأعشى، ص ١٢٧ ـ ١٢٩، ابن الطفيل، ص ١٠٧ ـ ١١٤.
٠٦١ اليعلاوي، عدد ٢٠
٠٦٢ ابن الطفيل، ص ٤٢، ص ٦٤.
٠٦٣ الضبي، رقم ١١٩
٠٦٤ ابن الأبرص، ص ٧
٠٦٥ ابن شداد، ص ١٤
٠٦٦ ابن منظور، مادة «عرك»
٠٦٧ ابن الطفيل، ص ٣٧، ص ٧٧، ص ١٢٠
٠٦٨ ياقوت الحموي، ج٤، ص ١٨١
٠٦٩ الآمدي، ص ١٣٩
٠٧٠ الضبي، رقم ٩٤
٠٧١ الضبي، رقم ٥٤
٠٧٢ المعيني، ص ٤٢
٠٧٣ ابن الطفيل، ص ٦٠ ص ١١٠

٠٧٤ الضبي، رقم ٩٩

٠٧٥ الضبي، رقم ٨٨

٠٧٦ ابن شداد، ص ٥٧

٠٧٧ ابن الطفيل، ص ٩٧

٠٧٨ الأصمعي، رقم ٦٩، ورقم ٧٠، الضبي رقم ٩٣، ورقم ٩٩، ورقم ١١٣، وابن الطفيل، ص ٤٢ وما بعدها، ص ٤٩ وما بعدها، ص ٩٤ وما بعدها، ص ١٠٢، ص ١٤٨ وما بعدها، المعيني، ص ٩٧، ص ٩٨، ص ١٧٧، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧، ص ٤٢٦، ابن الأبرص، ص ٣ ـ ٧، ص ٩٣ ـ ٩٤، ص ١٣٦ ـ ١٣٨.

٠٧٩ النحاس، ص ٦٣٢

٠٨٠ ابن ابي سلمى، ص ١٩

٠٨١ ابن عبد ربه، ج٦، ص ٦٥

٠٨٢ ابن شداد، ص ٤٤

٠٨٣ التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج١، ص ١٦

٠٨٤ الضبي، رقم ٣٨

٠٨٥ ابن شداد، ص ٥٧

٠٨٦ ابن ابي سلمى، ص ١٠٣، ص ١٠٥

٠٨٧ ابن ابي سلمى، ص ١٩

٠٨٨ الأعشى، ص ٢١٧

٠٨٩ ابن شداد، ص ١٦

٠٩٠ ابن الطفيل، ص ٣٤

٠٩١ ابن الطفيل، ص ١٢٠

٠٩٢ الضبي، رقم ٩٩

٠٩٣ الأعشى، ص ٣٩٩

٠٩٤ الأصفهاني، ج٢٢، ص ٧٠

٠٩٥ ابن ابي سلمى، ص ٥٤

٠٩٦ الأعشى، ص ٢٩٩
٠٩٧ ابو تمام، ديوان الحماسة، ج١، ص ٥٧
٠٩٨ الضبي، رقم ١٢٤
٩٩. الأودي، ص ٩
١٠٠ ابن ربيعة، ص ٢٥١
١٠١ ابن الأسلت، ص ٨٠
١٠٢ الضبي، رقم ٩٥
١٠٣ الأصفهاني، ج٣، ص ٢١
١٠٤ ابن الجلاح، ص ٦٣
١٠٥ الأصفهاني، ج١٦، ص ١٤٣
١٠٦ ابن شداد، ص ١٨٥
١٠٧ الضبي، رقم ٥٢
١٠٨ ابن الطفيل، ص ٤٦، ص ١١٣
١٠٩ ابن الأبرص، ص ٩٣
١١٠ الجندي ص ٩٠
١١١ ابن شداد، ص ٢٠
١١٢ الضبي، رقم ١٣، الشعر لرجل من عبد القيس
١١٣ القالي، ج٢، ص ٣١١، الشعر للزبرقان بن بدر
١١٤ الأعشى، ص ٢١٧
١١٥ ابن شداد، ص ١٠٤
١١٦ ابن الطفيل، ص ٣٨
١١٧ ابن عبد ربه، ج٥، ص ٢٥٠، الشعر لآمنة بنت عتيبة
١١٨ الضبي، رقم ١٢٠، الشعر لعلقمة بن عبدة
١١٩ ابن الطفيل، ص ٥٧
١٢٠ ابن الطفيل، ص ١١٩
١٢١ ابن شداد، ص ١١١

١٢٢ ابن شداد، ص ١٨٨
١٢٣ ابن شداد، ص ٨٧
١٢٤ ابن شداد، ص ٨٧
١٢٥ ياقوت الحموي، ج١، ص ٢١٩، الشعر للأضبط بن قريع
١٢٦ المعيني، ٨٨، الشعر للأهتم بن سمي
١٢٧ الضبي، رقم ١٣، الشعر لرجل من عبد القيس.
١٢٨ ابو تمام، الوحشيات، ص ٤٢، الشعر لعمرو بن الأهتم.
١٢٩ ابن شداد، ص ١١٤
١٣٠ المعيني، ص ٤٦٥، الشعر الطريف بن تميم.
١٣١ المعيني، ص ٤٦٥، الشعر لطريف بن تميم.
١٣١ ابن شداد، ص ١٣٥
١٣٢ ابن الطفيل، ص ١٢٠
١٣٣ ابن الخطيم، ص ١١٥
١٣٤ ابن الأسلت، ص ٧٩

١٣٥ ابن الأبرص، ٣٢.
١٣٦ الضبي، رقم ١٢، الشعر للحصين بن الحمام
١٣٧ ابن شداد، ص ٨
١٣٨ المعيني، ص ٤٠٦، الشعر لحريث بن سلمة.
١٣٩ ابن الطفيل، ص ٤٦
١٤٠ ابن الطفيل، ص ٥٠
١٤١ ابن الأبرص، ص ١٣٦ وما بعدها
١٤٢ ابن الطفيل، ص ١٠٠
١٤٣ الضبي، رقم ١٢٠، الشعر لعلقمة بن عبدة.
١٤٤ المعيني، ص ٢٧٧، الشعر لضمرة بن ضمرة
١٤٥ ابن شداد، ص ١٤٩، ص ١٥١
١٤٦ المعيني، ص ٤٠٨، الشعر لحريث بن سلمة

١٤٧ ابن شداد، ص ٨٢
١٤٨ المعيني، ص ٢٣٤، الشعر لشميت بن زنباع
١٤٩ الضبي، رقم ٢٢، الشعر لسلامة بن جندل
١٥٠ ابن شداد، ص ١٧٨
١٥١ ابن الطفيل، ص ٨٢
١٥٢ ابن الطفيل، ص ١١٥
١٥٣ ابن الطفيل، ص ٧٥
١٥٤ ابن شداد، ص ٨٧
١٥٥ الأصفهاني، ج٨، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.
١٥٦ الأصمعي، رقم ٦٩، الشعر للمفضل النكري.
١٥٧ الضبي، رقم ٥٤، الشعر للمرقش الأكبر.
١٥٨ الضبي، رقم ٩٣، الشعر لضمرة بن ضمرة.
١٥٩ ابن شداد، ص ١٣٢
١٦٠ ابن شداد، ص ٤٣
١٦١ ابن شداد، ص ١٣٧
١٦٢ ابن الطفيل، ص ٩٢
١٦٣ ابن الأبرص، ص ١٣٨
١٦٤ ابن الأبرص، ص ١٣٤
١٦٥ ابن شداد، ص ١٥١، ص ١٥٢
١٦٦ المعيني، ص ٤٠٧، الشعر لحريث بن سلمة.
١٦٧ ابن شداد، ص ١٣٧
١٦٨ ابن الطفيل، ص ٥٠
١٦٩ ابن الأبرص، ص ٩٣
١٧٠ ابن شداد، ص ٨٦
١٧١ الأصمعي، رقم ٢٩، الشعر لدريد بن الصمة.
١٧٢ ابن شداد، ص ١١١

١٧٣ ياقوت الحموي، ج١، ص ٢١٩، الشعر للأضبط بن قريع.
١٧٤ الضبي، رقم ١٣، الشعر لرجل من عبد القيس.
١٧٥ ابن شداد، ص ١٧
١٧٦ الضبي، رقم ١١٣، الشعر لربيعة بن مقروم.
١٧٧ ابن شداد، ص ١٤
١٧٨ الضبي، رقم ٩٤، الشعر لعوف بن عطية
١٧٩ الأصمعي، رقم ٦٧، الشعر لمالك بن نويرة.
١٨٠ ابن عبد ربه، ج٥، ص ١٧٩، الشعر لعوراء السليطية.
١٨١ ابن الطفيل، ص ٥٠
١٨٢ ابن شداد، ص ١٣٥
١٨٣ الأصمعي، رقم ٦٩، الشعر للمفضل النكري.
١٨٤ الضبي، رقم ٨٣، الشعر لعبد المسيح بن عسلة العبدي.
١٨٥ ابن شداد، ص ١٧٩
١٨٦ ابن الأبرص، ص ٣٣
١٨٧ ابن الأبرص، ص ١٣٤
١٨٨ ابن الطفيل، ص ٩٢
١٨٩ ابن الطفيل، ص ٥١

المصادر والمراجع

- الآمدي، ابو القاسم الحسن بشر بن يحيى، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦١.
- ابن الأبرص، عبيد، الديوان، تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار، ط١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي واولاده، ١٩٥٧.
- ابن الأسلت، ابو قيس صيفي، الديوان، جمع وتحقيق الدكتور حسن محمد باجودة، القاهرة، من منشورات مكتبة دار التراث، ١٩٧٣.
- الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق عبد الستار احمد فراج، ط٣، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٨.
- الأصمعي، ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، الأصمعيات، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، بيروت، د. ت.
- الأعشى، ميمون بن قيس، الديوان، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٢.
- امرؤ القيس، الديوان، بيروت، طبعة دار صادر، د. ت.
- الأودي، الأفوه، شعره، تحقيق عبد العزيز الميمني، بيروت، طبعة دار الكتب العلمية، د. ت.
- البحتري، ابو عبادة الوليد بن عبيد، الحماسة، تحقيق لويس شيخو، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، طبعة المنيرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧.
- التبريزي، ابو زكريا يحيى بن علي، شرح القصائد العشر، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط٤، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠.
- ابو تمام، حبيب بن اوس الطائي.

- الحماسة، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مطبعة صبيح، ١٩٥٥ .
- الوحشيات، تحقيق عبد العزيز الراجكوني وزاد في حواشيه محمود شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣ .
- ابن الجلاح، احيحة، الديوان، تحقيق الدكتور حسن محمد باجودة، الطائف، مطبعة شركة مكة للطباعة والنشر، ١٩٧٩ .
- الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ط٣، بيروت، مكتبة الجامعة العربية، ١٩٦٦ .
- الحادرة، قطبة بن اوس بن محمد، الديوان، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، بيروت، دار صادر، ١٩٨٠ .
- ابن الخطيم، قيس، الديوان، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٩٦٧ .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، ط٢، القاهرة، طبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٥ .
- ابن ابي سلمى، زهير، شرح الديوان، صنعة ثعلب، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، من منشورات الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤ .
- ابن شداد، عنترة، شرح الديوان، تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، ط١، بيروت، طبعة دار الكتب العلمية، ١٩٨٠ .
- شيخو، لويس، شعراء النصرانية، بيروت، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، ١٩١٢ .
- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، المفضليات، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٦، بيروت، ١٩٦٤ .
- ابن الطفيل، عامر، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت، طبعة دار صادر، ١٩٧٩ .
- ابن عبد ربه، ابو عمر احمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، شرح وضبط

احمد امين ورفيقه، القاهرة، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، «اكثر من طبعة».

- عبد الرحمن، عفيف، الشعر وايام العرب في الجاهلية، ط١، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤.

- ابن العبد، طرفة، الديوان، تحقيق علي الجندي، القاهرة، مطبعة الرسالة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨.

- الغنوي، طفيل، الديوان، تحقيق محمد عبد القادر، بيروت، مطبعة معتوق اخوان، ١٩٦٨.

- القالي، ابو علي، الأمالي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٦.

- القلقشندي، ابو العباس، صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة، طبعة المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣.

- ابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد، انساب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها، تحقيق احمد زكي، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٥.

- المعيني، عبد الحميد محمود، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، بريدة، منشورات نادي القصيم الأدبي، ١٩٨٢.

- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٧٤.

- النحاس، ابو جعفر، شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق احمد خطاب، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٧٣.

- هذيل، شرح ديوان اشعار الهذليين، صنعه السكري، مصر، طبع دار الكتب، ١٩٤٨.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت.